كَمّالُ الُمّفَاخِرِ

فِي الرِّضَا وَعَدُمِ التّفَاخُرِ



كتبة

أبو أحَمَدْ سَيَّد عبَد العاطَي

بن مُحَمَّد الذهبيَ

إصدار

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَزَّ وَاقْتَدَرَ، وَعَلَا وَقَهَرَ، لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا مَفَرَّ، أَحْمَدُهُ، سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالزِّيَادَةِ لِمَنْ شَكَرَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ إِذَا أَنَابَ وَاسْتَغْفَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنْجِي قَائِلَهَا يَوْمَ الْعَرْضِ الْأَكْبَرِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْبَشَرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ وَأُذُنٌ بِخَبَرٍ.

•أَمَّا بَعْدُ:

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ –رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ– أَنَّ كَمَالَ الْمَفَاخِرِ فِي التَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ وَالْمَآثِرِ وَعَلَى رَأْسِهَا خُلُقُ الرِّضَا الَّذِي يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ طُمَأْنِينَةً وَسَكِينَةً وَيَقِينًا، مَعَ الْبُعْدِ كُلِّ الْبُعْدِ عَنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ كَالْفَخْرِ وَالتَّبَاهِي فَإِنَّهُ يُورِثُ الْأَحْقَادَ وَيَبْعَثُ الضَّغَائِنَ وَيَجْلِبُ الْهُمُومَ وَالْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ وَالْهَلَكَةَ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { كَمَالُ الْمَفَاخِرِ فِي الرِّضَا وَعَدَمِ التَّفَاخُرِ } فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



•أَوَّلًا: مَنْزِلَةُ الرِّضَا :

–الرِّضَا عَمَلٌ قَلْبِيٌّ مِنْ أَرْفَعِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْظَمِهَا شَأْنًا، وَقَدْ يَبْلُغُ الْعَبْدُ بِهَذَا الْعَمَلِ مَنْزِلَةً تَسْبِقُ مَنَازِلَ مَنْ أَتْعَبَ بَدَنَهُ وَجَوَارِحَهُ فِي الْعَمَلِ؛ مَعَ أَنَّ عَمَلَهُ أَقَلُّ مِنْ عَمَلِهِمْ.

–يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{ طَرِيقُ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ تُسَيِّرُ الْعَبْدَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِهِ؛ فَيُصْبِحُ أَمَامَ الرَّكْبِ بِمَرَاحِلَ }.

–فَالرِّضَا عَمَلٌ قَلْبِيٌّ عَظِيمٌ، وَهُوَ الَّذِي يَنْدَرِجُ فِيهِ شَرْطَا الْقَبُولِ، وَالِانْقِيَادِ، وَهُمَا مِنْ شُرُوطِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، الَّتِي لَا بُدَّ لِتَحَقُّقِهَا مِنْ شُرُوطٍ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ أَوْ مُجَرَّدَ لَفْظٍ يُقَالُ بِاللِّسَانِ، لَكَانَ كُلُّ مَنْ قَالَهَا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ –حَتَّى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ– مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّ لَهَا شُرُوطًا عِظَامًا، وَقُيُودًا ثِقَالًا، الْعِلْمُ ، وَالْيَقِينُ، الْمَحَبَّةُ

، وَالْإِخْلَاصُ، وَالصِّدْقُ وَالْقَبُولُ وَالِانْقِيَادُ، وَقَدْ جَمَعَهَا الْإِمَامُ الْحَكَمِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي مَعَارِجِ الْقَبُولِ فَقَالَ:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَـــــدْ قُيِّدَتْ
وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَـــــإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِـــعْ قَائِلُــهَا
بِالنُّطْقِ إِلَّا حَـــيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَـــــــبُولُ
وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُـــــولُ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ
وَفَّقَـــــكَ اللَّهُ لِمَا أَحَـــبَّهُ



–فَالرِّضَا هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الِانْقِيَادِ، وَالْقَبُولِ، أَوِ الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ، بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ الرِّضَا بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، كَانَ هُوَ أَسَاسَ الدِّينِ، وَقَاعِدَةَ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّد بْن عَبْد الْوَهَّاب –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ :مَعْرِفَةُ اللَّهِ ، وَ مَعْرِفَةُ رَسُولِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَ مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ } .

–كُلُّهَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ الرِّضَا، وَلِذَلِكَ يَقُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: { ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَسُولًا }. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ:{ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ –الْأَذَانَ–: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَسُولًا غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ }. وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: { مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي أَوْ يُصْبِحُ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَسُولًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ }.



•ثَانِيًا: مَعْنَى الرِّضَا :

(أ) الرِّضَا لُغَةً :

–يَدُورُ مَعْنَى الرِّضَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ:

-الْقَبُولُ وَالْمُوَافَقَةُ: يُقَالُ (رَضِيَ بِالشَّيْءِ) أَيْ قَبِلَهُ وَوَافَقَ عَلَيْهِ.
-الرِّضَا نَقِيضُ السُّخْطِ: الرِّضَا ضِدُّ الْكَرَاهِيَةِ وَالْغَضَبِ.
-الرِّضَا سُرُورُ الْقَلْبِ: هُوَ طِيبُ النَّفْسِ وَاطْمِئْنَانُهَا وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ تُجَاهَ أَمْرٍ مَا.

(ب) الرِّضَا شَرْعًا :

-الرِّضَا شَرْعًا هُوَ طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ وَاسْتِسْلَامُهُ لِحِكْمَةِ اللَّهِ، وَقَبُولُ أَقْدَارِهِ دُونَ تَسَخُّطٍ أَوِ اعْتِرَاضٍ.
-وَالرِّضَا فِي الشَّرْعِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

(أ) رِضَا اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ :

-هُوَ قَبُولُ اللَّهِ لِطَاعَاتِ الْعَبْدِ وَإِثَابَتِهِ عَلَيْهَا، وَمَغْفِرَتِهِ لِذُنُوبِهِ، وَهُوَ الْغَايَةُ الْعُظْمَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.(التَّوْبَةُ:٧٢).

(ب) رِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللَّهِ :

-هُوَ تَقَبُّلُ الْعَبْدِ لِشَرْعِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَالرِّضَا بِأَقْدَارِهِ الْمُؤْلِمَةِ وَالْمُفْرِحَةِ.
-وَيُعَرِّفُهُ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ:{ سُرُورُ الْقَلْبِ بِمُرِّ الْقَضَاءِ }، أَوْ { سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ مَجَارِي الْأَحْكَامِ }، بِحَيْثُ لَا يَتَمَنَّى الْعَبْدُ أَنْ حَالَهُ تَغَيَّرَ عَمَّا اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُ. كَمَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ:{ إِذَا سَأَلْتُ رَبِّي عَطَاءً فَمَنَعَنِيهِ كَانَ الْمَنْعُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْعَطَاءِ. قِيلَ لَهُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْعَطَاءَ اخْتِيَارِي أَنَا وَالْمَنْعَ اخْتِيَارُهُ هُوَ وَاخْتِيَارُ اللَّهِ خَيْرٌ كُلُّهُ }.



•ثَالِثًا: الرِّضَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

-وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَتَحَدَّثُ عَنِ الرِّضَا أَذْكُرُ مِنْهَا:
(1)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }.(آلُ عِمْرَانَ:١٥).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ ذَلِكُمُ الْمَذْكُورِ، أَلَا وَهِيَ الْجَنَّاتُ الْعَالِيَاتُ ذَاتُ الْمَنَازِلِ الْأَنِيقَةِ وَالْغُرَفِ الْعَالِيَةِ، وَالْأَشْجَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُثْمِرَةِ بِأَنْوَاعِ الثِّمَارِ، وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ عَلَى حَسَبِ مُرَادِهِمْ وَالْأَزْوَاجِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ كُلِّ قَذَرٍ وَدَنَسٍ وَعَيْبٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، مَعَ الْخُلُودِ الدَّائِمِ الَّذِي بِهِ تَمَامُ النَّعِيمِ، مَعَ الرِّضْوَانِ مِنَ اللهِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ نَعِيمٍ، فَقِسْ هَذِهِ الدَّارَ الْجَلِيلَةَ بِتِلْكَ الدَّارِ الْحَقِيرَةِ، ثُمَّ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَهُمَا وَاعْرِضْ عَلَى قَلْبِكَ الْمُفَاضَلَةَ بَيْنَهُمَا { وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } أَيْ: عَالِمٌ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ وَالْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ، وَمَا هُوَ اللَّائِقُ بِأَحْوَالِهِمْ، يُوَفِّقُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَيَخْذُلُ مَنْ شَاءَ .

فَالْجَنَّةُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ وَصْفَهَا وَنَعَتَهَا بِأَكْمَلِ نَعْتٍ وَصَفَ أَيْضًا الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا وَهُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ أَنْ قَالُوا:{ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }.(آلُ عِمْرَانَ:١٦).



(2) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.(الْمَائِدَةُ:١١٩).

-أَيْ:{ قَالَ اللَّهُ } مُبَيِّنًا لِحَالِ عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنِ الْفَائِزُ مِنْهُمْ وَمَنِ الْهَالِكُ، وَمَنِ الشَّقِيُّ وَمَنِ السَّعِيدُ، { هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } وَالصَّادِقُونَ هُمُ الَّذِينَ اسْتَقَامَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ وَنِيَّاتُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْهَدْيِ الْقَوِيمِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجِدُونَ ثَمَرَةَ ذَلِكَ الصِّدْقِ، إِذَا أَحَلَّهُمُ اللَّهُ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ، وَلِهَذَا قَالَ: { لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }. أَيْ: لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَبِلَ حَسَنَاتِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ. ذَلِكَ الْجَزَاءُ وَالرِّضَا مِنْهُ عَلَيْهِمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

وَالْكَاذِبُونَ بِضِدِّهِمْ، سَيَجِدُونَ ضَرَرَ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ، وَثَمَرَةَ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ.

•تَبْصِرَةٌ :

-إِذَا ضَاعَ مِنْكَ بَعْضُ مَنَافِعِ الدُّنْيَا بِسَبَبِ صِدْقِكَ فَلَا تَحْزَنْ؛ فَسَتَجْنِي ثِمَارَهُ وَأَنْتَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

-لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَبَادِئِ وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا كَثْرَةُ تَكَالِيفِهَا، وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى إِشْرَاقِ نِهَايَاتِهَا، فَمَرَارَاتُ الْأَوَائِلِ، حَلَاوَاتُ الْأَوَاخِرِ.

-كَيْفَ تَجِدُ شُعُورَكَ لَوْ رَضِيَ عَنْكَ مُلُوكُ الدُّنْيَا؟ فَكَيْفَ سَيَكُونُ شُعُورُكَ لَوْ رَضِيَ عَنْكَ مَلِكُ الْمُلُوكِ سُبْحَانَهُ، وَأَدْخَلَكَ نَعِيمَ جِنَانِهِ؟.!

(3)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.(التَّوْبَةُ:٧٢).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:

{ ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ فَقَالَ:

{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } جَامِعَةً لِكُلِّ نَعِيمٍ وَفَرَحٍ، خَالِيَةً مِنْ كُلِّ أَذًى وَتَرَحٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَدُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ الْغَزِيرَةُ، الْمَرْوِيَّةُ لِلْبَسَاتِينِ الْأَنِيقَةِ، الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

{ خَالِدِينَ فِيهَا } لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا { وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ } قَدْ زُخْرِفَتْ وَحُسِّنَتْ وَأُعِدَّتْ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، قَدْ طَابَ مَرْآهَا، وَطَابَ مَنْزِلُهَا وَمَقِيلُهَا، وَجَمَعَتْ مِنْ آلَاتِ الْمَسَاكِنِ الْعَالِيَةِ مَا لَا يَتَمَنَّى فَوْقَهُ الْمُتَمَنُّونَ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ غُرَفًا فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالْحُسْنِ، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا. فَهَذِهِ الْمَسَاكِنُ الْأَنِيقَةُ، الَّتِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَسْكُنَ إِلَيْهَا النُّفُوسُ، وَتَنْزِعَ إِلَيْهَا الْقُلُوبُ، وَتَشْتَاقَ لَهَا الْأَرْوَاحُ، لِأَنَّهَا فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، أَيْ: إِقَامَةٍ لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا، وَلَا يَتَحَوَّلُونَ مِنْهَا. { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ } يُحِلُّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ { أَكْبَرُ } مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَإِنَّ نَعِيمَهُمْ لَمْ يَطِبْ إِلَّا بِرُؤْيَةِ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِأَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي أَمَّهَا الْعَابِدُونَ، وَالنِّهَايَةُ الَّتِي سَعَى نَحْوَهَا الْمُحِبُّونَ، فَرِضَا رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، أَكْبَرُ مِنْ نَعِيمِ الْجِنَانِ.

{ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } حَيْثُ حَصَلُوا عَلَى كُلِّ مَطْلُوبٍ، وَانْتَفَى عَنْهُمْ كُلُّ مَحْذُورٍ، وَحَسُنَتْ وَطَابَتْ مِنْهُمْ جَمِيعُ الْأُمُورِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مَعَهُمْ بِجُودِهِ }.



•تَبْصِرَةٌ :

-لَا يَكْمُلُ أُنسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي مَسَاكِنِهَا الطَّيِّبَةِ إِلَّا بِرِضْوَانِ اللَّهِ؛ فَلِذَلِكَ امْتَنَّ بِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَرَمَهُ أَعْدَاءَهُ الْمُنَافِقِينَ.

-إِذَا نَالَ الْعَبْدُ رِضْوَانَ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ فَقَدْ نَالَ نَعِيمًا دُونَهُ كُلُّ نَعِيمٍ، إِلَّا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

–السَّعَادَاتُ الرُّوحِيَّةُ أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنَ السَّعَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، فَمَا أَعْظَمَ غَبْنَ مَنْ آثَرَ حُظُوظَ الْجَسَدِ عَلَى حُظُوظِ الرُّوحِ! هَنِيئًا لِمَنْ شَغَلَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي ابْتِغَاءِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ؛ فَهُمَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ.

–اللِّيْنُ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لَهُ ظُرُوفُهُ وَمُدَّتُهُ، وَمَتَى انْقَضَى ذَلِكَ فَلْتَكُنِ الْغِلْظَةُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ؛ فَحِينَ لَا يَنْفَعُ مَعَهُمُ الرِّفْقُ فَجِهَادُهُمْ حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.



(4) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا }.(الْفَتْحُ:١٨).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:

{ يُخْبِرُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، بِرِضَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَ الرَّسُولَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تِلْكَ الْمُبَايَعَةَ الَّتِي بَيَّضَتْ وُجُوهَهُمْ، وَاكْتَسَبُوا بِهَا سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ سَبُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ –الَّتِي يُقَالُ لَهَا (بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ) لِرِضَا اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهَا (بَيْعَةُ أَهْلِ الشَّجَرَةِ)

– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي شَأْنِ مَجِيئِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا هَذَا الْبَيْتَ، مُعَظِّمًا لَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ لِمَكَّةَ فِي ذَلِكَ، فَجَاءَ خَبَرٌ غَيْرُ صَادِقٍ، أَنَّ عُثْمَانَ قَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَبَايَعُوهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ لَا يَفِرُّوا حَتَّى يَمُوتُوا، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ رَضِيَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الطَّاعَاتِ وَأَجَلِّ الْقُرُبَاتِ، { فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ }

مِنَ الْإِيمَانِ، { فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ } شُكْرًا لَهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ، زَادَهُمْ هُدًى، وَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي شَرَطَهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ يُثَبِّتُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ بِهَا قُلُوبُهُمْ، { وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } وَهُوَ: فَتْحُ خَيْبَرَ، لَمْ يَحْضُرْهُ سِوَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ، فَاخْتُصُّوا بِخَيْبَرَ وَغَنَائِمِهَا، جَزَاءً لَهُمْ، وَشُكْرًا عَلَى مَا فَعَلُوهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْقِيَامِ بِمَرْضَاتِهِ }.

•تَبْصِرَةٌ :

-جَزَاءٌ عَظِيمٌ يَنْتَظِرُ الطَّائِعِينَ عَلَى مَشَارِفِ مُغَادَرَةِ الدُّنْيَا، وَغُرُوبِ شَمْسِ الْحَيَاةِ؛ إِنَّهَا جَنَّاتٌ مَلْأَى بِالْمَلَذَّاتِ، وَجَمِيلِ الطَّيِّبَاتِ، وَعَلَى ضِفَافِ أَنْهَارِهَا يَغْتَسِلُ الْمُؤْمِنُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا، فَنَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ.

لَمَّا قَامَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ رَبِحُوا رِضْوَانَ اللَّهِ عَنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ طَرِيقَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

-مَا أَعْظَمَهُ مِنْ ثَنَاءٍ، وَأَجْزَلَهُ مِنْ عَطَاءٍ! أَثْنَى تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَبِالْقِيَامِ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَكَانَ الْجَزَاءُ: نُزُولُ السَّكِينَةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالْإِثَابَةُ بِفَتْحٍ قَرِيبٍ لَهُمْ، وَنَيْلُ رِضْوَانِهِ عَنْهُمْ.

-إِذَا عَلِمَ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ خَيْرًا آتَاهُ خَيْرًا، فَالْقَلْبُ هُوَ أَسَاسُ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

-حُرِمَ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ، فَكَانَ لَهُمْ فَتْحُ خَيْبَرَ، فَاللَّهُ يُبَدِّلُ أَحْزَانَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْرَاحًا، وَاخْتِيَارُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ.

(5)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ }.(طَهَ: ٨٤).

-أَيْ: قَالَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:{ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي } أَيْ: قَرِيبًا مِنِّي، وَسَيَصِلُونَ فِي أَثَرِي وَالَّذِي عَجَّلَنِي إِلَيْكَ يَا رَبِّ طَلَبًا لِقُرْبِكَ وَمُسَارَعَةً فِي رِضَاكَ، وَشَوْقًا إِلَيْكَ.

•تَبْصِرَةٌ :

-رِضَا اللَّهِ فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ وَالْعَجَلَةِ إِلَيْهَا، وَهِيَ أَوْلَى مِنَ الطَّاعَاتِ الْمُسْتَحَبَّةِ الَّتِي تُزَاحِمُ تِلْكَ الْأَوَامِرَ.

-عُلُوُّ الْهِمَّةِ وَصِدْقُ الشَّوْقِ: تَعْكِسُ عُمْقَ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّ غَايَةَ الْمُؤْمِنِ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ هِيَ نَيْلُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ.

-الْأَدَبُ فِي الْإِجَابَةِ: أَظْهَرَتْ أَدَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّدِّ حِينَ سَأَلَهُ رَبُّهُ:{ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى }.(طَهَ: ٨٣)، فَكَانَ جَوَابُهُ مَلِيئًا بِالْحُبِّ وَالطَّاعَةِ الْخَالِصَةِ.

(6)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧)ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً }.(الْفَجْرُ:٢٧-٢٨).

-يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا أَعَدَّهُ مِنَ النَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً بِإِكْرَامِ اللَّهِ لَكِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ رَضِيَ عَنْكِ، فَادْخُلِي فِي عِدَادِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَادْخُلِي مَعَهُمْ جَنَّتِي.



•فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ :

(أ) الْبِشَارَةُ بِالْقَبُولِ وَالرِّضَا الْمُتَبَادَلِ :

-النَّفْسُ (رَاضِيَةٌ) لِأَنَّهَا رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَرَضِيَتْ بِمَا أَعَدَّهُ لَهَا مِنَ الثَّوَابِ. وَ(مَرْضِيَّةٌ) لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَضِيَ عَنْهَا وَعَنْ عَمَلِهَا.

(ب) الطُّمَأْنِينَةُ وَالسَّكِينَةُ :

-ثَمَرَةٌ لِلْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا، حَيْثُ تَخْرُجُ النَّفْسُ مِنَ الدُّنْيَا بِلَا خَوْفٍ وَلَا حُزْنٍ وَلَا قَلَقٍ، بَلْ بِسَلَامٍ تَامٍّ وَتَصْدِيقٍ بِوَعْدِ اللَّهِ.

(ج) تَكْرِيمٌ رَبَّانِيٌّ بِلَفْظِ (الرُّبُوبِيَّةِ) :

-اسْتِخْدَامُ كَلِمَةِ {رَبِّكِ} يَعْكِسُ اللُّطْفَ، وَالرِّقَّةَ، وَالْحَنَانَ، وَالْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي رَافَقَتِ الْعَبْدَ فِي الدُّنْيَا، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي رَبَّاهُ بِنِعَمِهِ وَأَسْدَى إِلَيْهِ إِحْسَانَهُ.

(د) النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ :

-الْعَوْدَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَعْنِي الْأَمْنَ الْمُطْلَقَ مِنْ عِقَابِهِ وَسَخَطِهِ، وَالدُّخُولَ فِي زُمْرَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالْفَوْزَ بِجَنَّتِهِ.

(هـ) اسْتِشْرَافُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ :

-فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُبَشِّرُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ مَوْتِهِ بِهَذَا النِّدَاءِ الْعَظِيمِ لِتَطْمَئِنَّ رُوحُهُ وَتُفَارِقَ جَسَدَهَا فِي سَلَامٍ.



(7) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }.(الْبَيِّنَةُ:٨).

–{ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ } أَيْ: جَنَّاتُ إِقَامَةٍ، لَا ظَعْنَ فِيهَا وَلَا رَحِيلَ، وَلَا طَلَبَ لِغَايَةٍ فَوْقَهَا، { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } فَرَضِيَ عَنْهُمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَرَاضِيهِ، وَرَضُوا عَنْهُ، بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ وَجَزِيلِ الْمَثُوبَاتِ { ذَلِكَ } الْجَزَاءُ الْحَسَنُ { لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } أَيْ: لِمَنْ خَافَ اللَّهَ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِوَاجِبَاتِهِ.

•تَبْصِرَةٌ :

–لَوْلَا الْخَشْيَةُ لَمْ يَتْرُكِ الْعَبْدُ الْمَنَاهِيَ وَالْمَعَاصِيَ، وَلَا اسْتَعَدَّ لِيَوْمٍ يُؤْخَذُ فِيهِ بِالنَّوَاصِي، فَهِيَ مِلَاكُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَقِوَامُ الْفَوْزِ بِالرُّتَبِ الْعُلِيَّةِ.

–رَضُوا عَنْ رَبِّهِمْ فِيمَا شَرَعَ لَهُمْ وَقَضَى، مُذْعِنِينَ لِأَمْرِهِ، مُسَلِّمِينَ لِقَضَائِهِ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَقَاعِدَ الْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

–عَظَمَةُ الْجَزَاءِ وَمَصْدَرُهُ: إِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ (عِندَ رَبِّهِمْ) تُشْعِرُ بِالتَّشْرِيفِ، وَالتَّكْرِيمِ، وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ.

–الِاسْتِقْرَارُ وَالْخُلُودُ:(جَنَّاتُ عَدْنٍ) أَيْ بَسَاتِينُ الْإِقَامَةِ وَالْخُلُودِ الَّتِي لَا تَنْقَضِي وَلَا تَفْنَى.

–جَمَالُ الْمَنْظَرِ وَالْبَهْجَةِ:{ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } يُفِيدُ تَمَامَ النَّعِيمِ؛ فَالْأَنْهَارُ تُضْفِي مَنْظَرًا بَهِيجًا، وَتُلَطِّفُ الْجَوَّ، وَتَسْقِي الْأَشْجَارَ لِتَظَلَّ دَائِمَةَ الْخُضْرَةِ وَالثِّمَارِ.

–غَايَةُ الرِّضَا: اقْتِرَانُ الْجَزَاءِ الْمَادِّيِّ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ، وَهُوَ أَعْظَمُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

–شَرْطُ الِاسْتِحْقَاقِ:{ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُصُولَ لِهَذَا النَّعِيمِ يَتَطَلَّبُ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ وَمُرَاقَبَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ.

(وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.(التَّوْبَةُ:١٠٠).

–السَّابِقُونَ هُمُ الَّذِينَ سَبَقُوا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَبَدَرُوهَا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ، وَإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ. { مِنَ الْمُهَاجِرِينَ } { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } وَمِنْ { الْأَنصَارِ } { الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ } بِالِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَهَؤُلَاءِ، هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا مِنَ الذَّمِّ،

وَحصَلَ لَهُمْ نِهَايَةُ الْمَدْحِ، وَأَفْضَلُ الْكَرَامَاتِ مِنَ اللَّهِ. { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ } وَرِضَاهُ تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، { وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ } الْجَارِيَةُ الَّتِي تُسَاقُ إِلَى سَقْيِ الْجِنَانِ، وَالْحَدَائِقِ الزَّاهِيَةِ الزَّاهِرَةِ، وَالرِّيَاضِ النَّاضِرَةِ. { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا، وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا بَدَلًا، لِأَنَّهُمْ مَهْمَا تَمَنَّوْهُ، أَدْرَكُوهُ، وَمَهْمَا أَرَادُوهُ، وَجَدُوهُ. { ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ، كُلُّ مَحْبُوبٍ لِلنُّفُوسِ، وَلَذَّةٍ لِلْأَرْوَاحِ، وَنَعِيمٍ لِلْقُلُوبِ، وَشَهْوَةٍ لِلْأَبْدَانِ، وَانْدَفَعَ عَنْهُمْ كُلُّ مَحْذُورٍ.

•تَبْصِرَةٌ :

–لَا بُدَّ لِمَنْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ أَنْ يَأْتِيَ بِدَلَائِلَ عَلَى دَعْوَاهُ، مِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ وَانْتِهَاجِ نَهْجِهِمْ.

–طُوبَى لِمَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ رَاضٍ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَلْ يُثْنِي اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ وَيَمْدَحُهُمْ، وَيُخْبِرُ عَنْ رِضَاهُ عَنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ كَرَامَتَهُمْ؟ التَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ هُمُ السُّعَدَاءُ، فَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَارَ أَهْلًا لِلاقْتِدَاءِ.

–وَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِالْقُرْآنِ.

–الرِّضَا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَطَلَبُ مَرْضَاتِهِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ بِمَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ.



•رَابِعًا: الرِّضَا عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ :

–وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَتَحَدَّثُ عَنِ الرِّضَا أَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٣٤) مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–الْإِيمَانُ لَهُ أَسْرَارٌ عَجِيبَةٌ، وَلَهُ حَلَاوَةٌ وَطَعْمٌ يُذَاقُ بِالْقُلُوبِ، كَمَا تُذَاقُ حَلَاوَةُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِالْفَمِ، وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنِ امْتَلَأَ صَدْرُهُ بِهِ، وَخَالَطَتْ بَشَاشَتُهُ قَلْبَهُ، فَالْقَلْبُ إِذَا سَلِمَ مِنْ أَمْرَاضِ الْأَهْوَاءِ

الْمُضِلَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَمَتَى مَرِضَ وَسَقِمَ لَمْ يَجِدْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، بَلْ قَدْ يَسْتَحْلِي مَا فِيهِ هَلَاكُهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْمَعَاصِي.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ }، أَيْ: وَجَدَ وَأَدْرَكَ حَلَاوَتَهُ وَلَذَّتَهُ، وَهِيَ مَا يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ مِنِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَالْأُنْسِ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ، وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعْرِفَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِاصْطِفَائِهِ وَجَعْلِهِ مُسْلِمًا مِنْ أُمَّةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ، { مَنْ رَضِيَ } أَيِ: اكْتَفَى وَقَنَعَ، { بِاللَّهِ رَبًّا }، فَرَضِيَهُ لِنَفْسِهِ مَالِكًا وَوَالِيًا، وَسَيِّدًا وَمُتَصَرِّفًا، وَمَعْبُودًا، وَكَفَرَ بِمَا سِوَاهُ وَرَضِيَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَرَضِيَ بِالْإِسْلَامِ دِينًا، أَيْ: مَذْهَبًا وَطَرِيقًا، فَاخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَدْيَانِ، فَدَخَلَ فِيهِ رَاضِيًا مُسْتَسْلِمًا، وَأَنْكَرَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، وَرَضِيَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رَسُولًا، أَيْ: مُتَّبَعًا وَإِمَامًا وَمُقْتَدًى بِهِ فِي شَرِيعَتِهِ، فَرَضِيَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَبِلَ ذَلِكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالِانْشِرَاحِ؛ فَصَدَّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتَنَبَ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَحَبَّهُ وَاتَّبَعَهُ وَنَصَرَهُ.

-فَمَنْ رَضِيَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ سَهُلَتْ عَلَيْهِ كُلُّ مَصَاعِبِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ مُسْتَنِدًا إِلَى يَقِينِ اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمِ الصَّادِقِ لَهُ وَلِشَرْعِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَيَجِدُ بِذَلِكَ رَاحَةً وَطُمَأْنِينَةً فِي قَلْبِهِ، وَيَجِدُ اللَّذَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي فَمِهِ وَفِي قَلْبِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ فِي الْإِيمَانِ التَّامِّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ.



(2)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ أَيْضًا بِرَقْمِ(٩٨٩) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:{ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالُوا: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَنَا فَيَظْلِمُونَنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ. قَالَ جَرِيرٌ: مَا صَدَرَ عَنِّي مُصَدِّقٌ مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-نَظَّمَ الْإِسْلَامُ أُمُورَ الدِّينِ، وَبَيَّنَ كَيْفِيَّةَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْأَرْكَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَيَّنَ أَحْكَامَ الزَّكَاةِ، وَكَيْفِيَّةَ جَمْعِهَا، وَشُرُوطَهَا وَآدَابَهَا؛ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ بِقُلُوبٍ رَاضِيَةٍ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ قَدْ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ -وَهُمُ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الصَّحْرَاءَ- إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا:{ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ }، وَهُمْ عُمَّالُ الزَّكَاةِ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ الْأَمْوَالَ عَلَى أَصْحَابِهَا وَيَأْخُذُونَ مِنْهَا الزَّكَاةَ،{ يَأْتُونَنَا فَيَظْلِمُونَنَا }، أَيْ:

يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنَّا، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ }، وَمَعْنَاهُ: أَرْضُوهُمْ بِبَذْلِ الْوَاجِبِ وَمُلَاطَفَتِهِمْ وَتَرْكِ مَشَاقِّهِمْ، وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالُوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمُونَا؟ قَالَ: أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ وَإِنْ ظُلِمْتُمْ }، وَهَذَا الْكَلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَى فَرْضِ الظُّلْمِ وَتَقْدِيرِهِ، لَا عَلَى وُقُوعِهِ حَقِيقَةً، وَلِأَنَّ عُمَّالَ الصَّدَقَاتِ إِنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهِمْ، وَلِرَبِّ الْمَالِ أَنْ يَشْتَكِيَ أَوْ يُبَيِّنَ لَهُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ لَكَ، وَإِنَّمَا الَّذِي لَكَ كَذَا وَكَذَا.

-ثُمَّ أَخْبَرَ جَرِيرٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ مَا ذَهَبَ عَنْهُ عَامِلُ زَكَاةٍ إِلَّا وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ؛ تَسَامُحًا لَهُ، وَاسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

-وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَامِعِي الزَّكَاةِ بِعَدَمِ الظُّلْمِ وَتَجَنُّبِ كَرَائِمِ الْأَمْوَالِ، فَقَالَ لَهُمْ -كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:{ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ }، وَبِهَذَا يَقِفُ كُلٌّ مِنْ جَامِعِ الزَّكَاةِ وَدَافِعِهَا عَلَى حِدَةٍ مُرَاعِيًا لِحُدُودِ اللَّهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: ضَرُورَةُ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

-وَفِيهِ: إِرْضَاءُ عُمَّالِ الزَّكَاةِ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ بِطِيبِ نَفْسٍ وَعَدَمِ مُمَاطَلَةٍ فِي قَدْرِهَا.

-وَفِيهِ: مَا كَانَ عِنْدَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ حِرْصٍ عَلَى الِاسْتِجَابَةِ لِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-



(3)وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (5228)وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(٢٤٣٩) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا- قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ:

فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ –يَا رَسُولَ اللَّهِ– مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–ضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَرْوَعَ الْأَمْثَالِ لِلْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ وَالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ مَعَ الْأَهْلِ، فَكَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى }، وَذَلِكَ بِاسْتِقْرَاءِ الْأَحْوَالِ وَالْقَرَائِنِ، وَيُرِيدُ بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ مَا يَكُونُ فِي الْعَادَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجَتِهِ، فَسَأَلَتْهُ:

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُ كَوْنِي رَاضِيَةً عَنْكَ أَوْ غَيْرَ رَاضِيَةٍ: هَلْ بِالْوَحْيِ أَوْ هُنَاكَ عَلَامَةٌ؟ فَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ } حَالَ الْمُحَاوَرَةِ مَعِي:{ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ }، أَيْ: أَنَّهَا تَذْكُرُ اسْمَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَرَاحَةً حَالَ قَسَمِهَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، { وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى }، أَيْ: غَيْرَ رَاضِيَةٍ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، { قُلْتِ } لِي حَالَ الْمُحَاوَرَةِ مَعِي:{ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ }، أَيْ:

أُقْسِمُ وَأَحْلِفُ بِرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي اخْتِيَارِ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: دَلَالَةٌ عَلَى مَزِيدِ فِطْنَتِهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا بُدٌّ مِنْ هَجْرِ الِاسْمِ الشَّرِيفِ أَبْدَلَتْهُ بِمَنْ هُوَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ؛ حَتَّى لَا تَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ التَّعَلُّقِ فِي الْجُمْلَةِ.

–فَصَدَّقَتْ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– عَلَى مَا قَالَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَطَرِيقَةِ قَسَمِهَا فِي حَالِ الرِّضَا وَالْغَضَبِ، ثُمَّ أَقْسَمَتْ بِاللَّهِ أَنَّهَا مَا تَهْجُرُ وَلَا تَتْرُكُ إِلَّا اسْمَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ لِغَضَبِهَا حَالَ غَيْرَتِهَا، وَلَكِنَّ مَحَبَّتَهَا لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثَابِتَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ بِحَالٍ.

–وَالْحَصْرُ فِي قَوْلِهَا:{ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ } فِي غَايَةٍ مِنَ اللُّطْفِ فِي الْجَوَابِ؛ لِأَنَّهَا أَخْبَرَتْ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي غَايَةٍ مِنَ الْغَضَبِ الَّذِي يَسْلُبُ الْعَاقِلَ اخْتِيَارَهُ، لَا يُغَيِّرُهَا عَنْ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ الْمُسْتَغْرِقَةِ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، الْمُمْتَزِجَةِ بِرُوحِهَا.

–وَإِنَّمَا عَبَّرَتْ عَنِ التَّرْكِ بِالْهِجْرَانِ؛ لِتَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهَا تَتَأَلَّمُ مِنْ هَذَا التَّرْكِ الَّذِي لَا اخْتِيَارَ لَهَا فِيهِ.

–وَمُغَاضَبَةُ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هِيَ مِنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي عُفِيَ عَنْهَا لِلنِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ لِعَدَمِ انْفِكَاكِهِنَّ مِنْهَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ عَلَى عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَرَجِ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهَجْرَهُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ:{ لَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ }، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ قَلْبَهَا وَحُبَّهَا كَمَا كَانَ، وَإِنَّمَا الْغَيْرَةُ فِي النِّسَاءِ لِفَرْطِ الْمَحَبَّةِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: إِرْشَادٌ إِلَى مُرَاعَاةِ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَمَعْرِفَةِ مَوَاطِنِ رِضَاهُمْ وَغَضَبِهِمْ.

–وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ الرِّضَا وَالْغَضَبَ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ مِنَ الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا، حَتَّى بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَنِسَائِهِمْ؛ فَيَنْبَغِي الرِّفْقُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ وَحَلِّهَا.

–وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْقَسَمِ بِأَلْفَاظٍ؛ مِثْلِ: وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ... إِلَخْ.

–وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْحُكْمِ بِالْقَرَائِنِ؛ لِأَنَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَكَمَ بِرِضَا عَائِشَةَ وَغَضَبِهَا بِمُجَرَّدِ ذِكْرِهَا اسْمَهُ الشَّرِيفَ وَسُكُوتِهَا عَنْهُ؛ فَبَنَى عَلَى تَغَيُّرِ الْحَالَتَيْنِ مِنَ الذِّكْرِ وَالسُّكُوتِ تَغَيُّرَ الْحَالَتَيْنِ مِنَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ.

–وَفِيهِ: بَيَانُ سَعَةِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَشِدَّةِ تَحَمُّلِهِ مَا يَحْصُلُ مِنَ النِّسَاءِ بِسَبَبِ الْغَيْرَةِ.



(4) وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (1303)وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ(٢٣١٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ:

{ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-الْبُكَاءُ عَلَى الْمُصِيبَةِ غَرِيزَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ لَا يَأْثَمُ عَلَيْهَا الْمَرْءُ، طَالَمَا أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّلْ ذَلِكَ سَخَطٌ أَوْ نَوْحٌ أَوْ عَدَمُ رِضًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

-وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ -كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ- وَفِيهِ يَحْكِي أَنَسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قِصَّةَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدِهِ وَلَيْسَتْ زَوْجَهُ(كَانَتْ مِلْكَ يَمِينٍ)، فَيَقُولُ:{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ }. ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَنَسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قِصَّةَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَتُوُفِّيَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ فِي مَرْحَلَةِ الرَّضَاعِ، فَيَقُولُ أَنَسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، أَيْ: الْحَدَّادِ، وَاسْمُهُ: الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسٍ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ وَأَبًا لَهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ؛ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ خَوْلَةَ بِنْتَ الْمُنْذِرِ قَدْ أَرْضَعَتْ إِبْرَاهِيمَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَالظِّئْرُ هِيَ الْحَاضِنُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ.

-قَالَ أَنَسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَإِبْرَاهِيمُ فِي حَالِ النَّزْعِ عَلَى وَشْكِ أَنْ تَفِيضَ رُوحُهُ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَذْرِفَانِ الدُّمُوعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَصْبِرُونَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَيَتَفَجَّعُونَ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَفْعَلُ كَفِعْلِهِمْ مَعَ حَثِّكَ عَلَى الصَّبْرِ وَنَهْيِكَ عَنِ الْجَزَعِ؟!

فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، أَيْ: رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ، تَجِيشُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ، فَتَبْعَثُ عَلَى حُزْنِ الْقَلْبِ، وَبُكَاءِ الْعَيْنِ، وَهِيَ غَرِيزَةٌ لَا يُلَامُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الْجَزَعِ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ أَتْبَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدَّمْعَةَ الْأُولَى بِالدَّمْعَةِ الثَّانِيَةِ، أَوْ أَتْبَعَ الْكَلِمَةَ الْأُولَى بِكَلِمَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: { إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ } بِمُقْتَضَى الْغَرِيزَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا خَلْقَهُ، { وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا }؛ مِنَ الْحَمْدِ وَالِاسْتِرْجَاعِ، وَسُؤَالِ الْخَلَفِ الصَّالِحِ، كَقَوْلِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، { وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ } وَلَيْسَ الْحُزْنُ مِنْ فِعْلِنَا، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِينَا، وَأَوْقَعَهُ فِي قُلُوبِنَا، فَلَا نُلَامُ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا قُلْنَا أَوْ فَعَلْنَا مَا لَا يُرْضِي رَبَّنَا.

-وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَقُولُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِيهِ: تَقْبِيلُ الْوَلَدِ وَشَمُّهُ.

-وَفِيهِ:مَشْرُوعِيَّةُ الْبُكَاءِ بِرَحْمَةٍ عَلَى الْمَيِّتِ، مَعَ عَدَمِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.



(5) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٧١٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ. وَفِي رِوَايَةٍ: مِثْلَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَلَمْ يَذْكُرْ: وَلَا تَفَرَّقُوا }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ }.(الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ:٤٤٢).

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-أَمَرَ الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ بِفِعْلِ مَا فِي الِاسْتِطَاعَةِ، وَرَغَّبَ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَرَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ تَوْجِيهَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَدَمِ تَخَطِّيهَا، وَحَذَّرَ مِمَّا يَكْرَهُ اللَّهُ وَيُبْغِضُهُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْضَى لِعِبَادِهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ، أَيْ: يَأْمُرُهُمْ بِهَا؛ لِأَنَّ الرِّضَا بِالشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِهِ، وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الرِّضَا بِهِ، فَيَكُونُ الرِّضَا كِنَايَةً عَنِ الْأَمْرِ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَرَاهِيَةُ وَالسَّخَطُ يَسْتَلْزِمَانِ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ، وَالرِّضَا وَالسَّخَطُ وَالْكَرَاهَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَحَادِيثِهِ الصَّحِيحَةِ؛ فَهِيَ ثَابِتَةٌ لَهُ عَلَى ظَاهِرِهَا، عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ.

-فَيَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَيُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ مَعَ عَمَلِ الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، لَا شِرْكًا أَكْبَرَ وَلَا شِرْكًا أَصْغَرَ؛ لِأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ لَمْ يَعْبُدْهُ، وَيَرْضَى لَهُمْ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَحُدُودِهِ، وَالتَّأَدُّبُ

بآدابِهِ، وَيَرْضَى لَهُمُ اتِّباعَ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَدَمَ الاِخْتِلَافِ، وَقَوْلُهُ:{ وَلَا تَفَرَّقُوا }، أَيْ: اجْتَمِعُوا عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، فَتَتَّفِقُ كَلِمَتُكُمْ، فَتَتِمُّ لَكُمْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَتَسْلَمُونَ مِنَ الِاخْتِلَافِ وَالِافْتِرَاقِ الَّذِي حَصَلَ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

–وَقَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ } أَيْ:

وَمِمَّا يَرْضَاهُ اللَّهُ لَكُمْ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ لِلْحُكَّامِ وَأُولِي الْأَمْرِ (الرُّؤَسَاءِ، وَالْمُلُوكِ، وَالْمَسْؤُولِينَ)، وَتَقْدِيمُ النُّصْحِ لَهُمْ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ تَهْدِفُ إِلَى الْإِصْلَاحِ، بَعِيدًا عَنِ الْخِدَاعِ أَوِ التَّشْهِيرِ.

–ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَكْرَهُ لِعِبَادِهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ أَيْضًا؛ فَيَكْرَهُ وَيَسْخَطُ:{ قِيلَ وَقَالَ }، وَهُوَ فُضُولُ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ الْمُتَجَالِسُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ كَذَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الْكَذِبِ وَعَدَمِ التَّثَبُّتِ وَاعْتِقَادِ غَيْرِ الْحَقِّ، وَمِنْ أَسْبَابِ وُقُوعِ الْفِتَنِ وَتَنَافُرِ الْقُلُوبِ، وَمِنَ الِاشْتِغَالِ بِالْأُمُورِ الضَّارَّةِ عَنِ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ، وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

–وَيَكْرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ، أَيْ: كَثْرَةَ سُؤَالِ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، أَوْ كَثْرَةَ السُّؤَالِ فِي الْعِلْمِ عَمَّا فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ، بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمُشْكِلَاتِ الَّتِي تُعُبِّدْنَا بِظَاهِرِهَا، أَوْ عَمَّا لَا حَاجَةَ لِلسَّائِلِ بِهِ، أَوِ الْمُرَادُ كَثْرَةُ سُؤَالِ النَّاسِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ حَتَّى يُوقِعَهُمْ فِي الْحَرَجِ.

–وَيَكْرَهُ أَيْضًا إِضَاعَةَ الْمَالِ، أَيْ: إِنْفَاقَهُ فِيمَا لَا يَحِلُّ وَالْإِسْرَافَ فِيهِ وَصَرْفَهُ فِي غَيْرِ وُجُوهِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَعْرِيضَهُ لِلتَّلَفِ، أَوْ بِتَرْكِ حِفْظِهِ حَتَّى يَضِيعَ، وَسَبَبُ النَّهْيِ أَنَّهُ إِفْسَادٌ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، وَلِأَنَّهُ إِذَا أَضَاعَ مَالَهُ احْتَاجَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَالْأَمْرُ بِلُزُومِهَا وَتَوْحِيدِ صُفُوفِهَا.

–وَفِيهِ: تَرْكُ الْخَوْضِ فِي أَخْبَارِ النَّاسِ وَتَتَبُّعِ أَحْوَالِهِمْ وَحِكَايَةِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

–وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى الْحِفَاظِ عَلَى الْمَالِ وَعَدَمِ الْإِسْرَافِ فِيهِ.



(6) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٨٨٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ،

مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ وَرِفْعَةُ شَأْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَانَ يَحُثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَعَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ اسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ الْعَاجِلَةِ؛ حَتَّى يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ:{ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا }، أَيْ: مَنِ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ بِكَوْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ رَبًّا وَمَالِكًا مَعَ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ، وَاعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، مَعَ الرِّضَا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ؛ { وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ }، أَيْ:

ثَبَتْ وَتَحَقَّقَتْ لَهُ هَذِهِ الْبُشْرَى؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ قَطْعًا، وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ لِاسْتِيفَاءِ ذُنُوبٍ عَلَيْهِ لَمْ يَخْلُدْ فِيهَا، فَعَجِبَ أَبُو سَعِيدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِأَجَلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ عِظَمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُوَحِّدِينَ، فَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُعِيدَهَا عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَحْفَظَهَا وَيَسْتَبْشِرَ بِهَا، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَمَا أَعَادَهَا لَهُ:{ وَأُخْرَى }، أَيْ:

وَكَلِمَةٌ، أَوْ فَائِدَةٌ، أَوْ خَصْلَةٌ أُخْرَى مِمَّا يُتَعَجَّبُ لَهَا، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يُرْغَبَ فِيهَا، وَأَجْرُهَا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَالدَّرَجَةُ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ، وَيُرَادُ بِهَا غُرَفُ الْجَنَّةِ وَمَرَاتِبُهَا الَّتِي أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، { مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَنْوَاعَ النِّعَمِ عَلَى الْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ وَثَوَابَهُ يَتَفَاضَلُ تَفَاضُلًا كَثِيرًا، فَسَأَلَ أَبُو سَعِيدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ تِلْكَ الْخَصْلَةِ الْأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } مَرَّتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ تَفْخِيمُ أَمْرِ الْجِهَادِ، وَتَعْظِيمُ شَأْنِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْجِهَادِ هُنَا هُوَ الَّذِي يَكُونُ بِالنَّفْسِ، فَهُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِيهِ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ مِنْ ثَوَابٍ وَأَجْرٍ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ.

-وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا.



(7) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢٣٩٦) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ وَيَخْتَبِرُهُمْ؛ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنَ الْمُطِيعَ الرَّاضِيَ مِنَ الْعَاصِي السَّاخِطِ، وَالْبَلَاءُ يَكُونُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ }، أَيْ: كُلَّمَا كَثُرَ وَزَادَ الْبَلَاءُ زَادَتِ الْحَسَنَاتُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ، ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَسْبَابَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّهَا دَلِيلُ خَيْرٍ، إِنْ قُوبِلَتْ بِالرِّضَا، فَقَالَ:

{ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ }، أَيْ: اخْتَبَرَهُمْ بِالْمِحَنِ وَالْمَصَائِبِ، { فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا }، أَيْ: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِالرِّضَا، فَسَيَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَيَجْزِيهِ الْخَيْرَ وَالْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَسْبُوقٌ بِرِضَا الْعَبْدِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ عَنِ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ:

{ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }.(الْمَائِدَةُ:١١٩).

وَمُحَالٌ أَنْ يَحْصُلَ رِضَا اللَّهِ وَلَا يَحْصُلَ رِضَا الْعَبْدِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً }.(الْفَجْرُ:٢٧–٢٨).، فَعَنِ اللَّهِ الرِّضَا أَزَلًا وَأَبَدًا، سَابِقًا وَلَاحِقًا.

–{ وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ }، أَيْ: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِعَدَمِ الرِّضَا؛ مِنْ كُرْهٍ لِوُقُوعِهَا وَسَخَطٍ، فَإِنَّهُ يُقَابَلُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَرْضَى عَنْهُ، وَلَهُ الْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَصَائِبَ وَالْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَعُقُوبَاتٌ يُمَحِّصُ اللَّهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَلْقَوْهُ مُطَهَّرِينَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ لِأَهْلِ الْعِصْيَانِ كُرُوبٌ وَشَدَائِدُ وَعَذَابٌ فِي الدُّنْيَا، وَمَعَ عَدَمِ رِضَاهُمْ وَتَسْلِيمِهِمْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ أَجْرٌ فِي الْآخِرَةِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ وَالرِّضَا إِذَا وَقَعَ الْبَلَاءُ.

(وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢٤١٤) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا– قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ }.

–وَفِي رِوَايَةٍ:{ مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسْخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجَلِّ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ حَصِيفٍ، فَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ، وَالْفَائِزُ حَقًّا هُوَ مَنْ فَازَ بِرِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ }، أَيْ: أَيُّمَا أَحَدٍ سَعَى فِي سَبِيلِ الْفَوْزِ بِرِضَا النَّاسِ، وَنَيْلِ مَرْضَاتِهِمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِمَا أَمَرَ وَمَا نَهَى، وَعَدَمِ الِاحْتِرَازِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، { وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ }، أَيْ:

تَرَكَ أَمْرَهُ إِلَى النَّاسِ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرْضَوْهُ وَلَمْ يَرْضَوْا عَنْهُ، وَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَمَنْ أَرْضَاهُمْ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مُوقِنًا لَا بِوَعْدِهِ وَلَا بِرِزْقِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى ذَلِكَ إِمَّا مَيْلٌ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَيَتْرُكُ الْقِيَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لِمَا يَرْجُوهُ مِنْهُمْ، وَإِمَّا ضَعْفُ تَصْدِيقِهِ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، { وَمَنْ أَسْخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ }، أَيْ:

أَيُّمَا أَحَدٍ سَعَى فِي سَبِيلِ الْفَوْزِ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَلَبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ كُرْهَ النَّاسِ لَهُ، وَعَدَمَ رِضَاهُمْ عَنْهُ وَسَخَطَهُمْ عَلَيْهِ، { كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ }، أَيْ: حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ سَخَطِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَكَفَاهُ هَمَّ ذَلِكَ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَضُّ عَلَى الْعَمَلِ بِرِضَا اللَّهِ لَا بِرِضَا النَّاسِ.



(9) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-أَشْقَى النَّاسِ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَشَهْوَتَهُ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ كُلُّهُ لِتَحْصِيلِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ وَطَلَبِهَا؛ فَهُوَ تَارِكٌ مَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى، مُتَمَسِّكٌ بِتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ بِغَيْرِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مُضَيِّعٌ لِآخِرَتِهِ بِدُنْيَاهُ. وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، طَالِبًا رِضَاهُ، وَمَا أَعَدَّهُ سُبْحَانَهُ لِلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْذِيرٌ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِشَهَوَاتِهِ، وَحَثٌّ عَلَى أَنْ يَعِيشَ الْمُؤْمِنُ حَيَاتَهُ لِلَّهِ، وَفِي سَبِيلِهِ سُبْحَانَهُ.

-فَيَقُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ }، يَعْنِي: عَثُرَ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِ، وَالدِّينَارُ مِنَ الذَّهَبِ، وَالدِّرْهَمُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَالْخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ أَسْوَدُ مُرَبَّعٌ، لَهُ خُطُوطٌ، وَسَبُ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ أَنَّهُ: إِنْ أُعْطِيَ مُرَادَهُ مِنَ الْمَالِ وَاللَّذَّاتِ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ مُنِعَ كَانَ سَاخِطًا غَاضِبًا. وَيُكَرِّرُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدُّعَاءَ لِلتَّنْفِيرِ مِنَ الِاتِّصَافِ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ، فَيَقُولُ:{ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتُقِشَ }، أَيْ:

تَعِسَ وَانْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ شَوْكَةٌ فَلَا قَدِرَ عَلَى إِخْرَاجِهَا بِالْمِنْقَاشِ، وَلَا خَرَجَتْ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا أُصِيبَ بِأَقَلِّ أَذًى لَا يَجِدُ مُعِينًا عَلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ.

-ثُمَّ أَثْنَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْعَبْدِ التَّقِيِّ الْخَفِيِّ الْمُجَاهِدِ، فَقَالَ:{ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }، أَيْ: مُنْطَلِقٍ بِفَرَسِهِ آخِذٍ بِلِجَامِهِ مُجَاهِدًا وَمُقَاتِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَأْبَهُ لِلدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَلَا يَسْعَى فِي طَلَبِهِمَا، وَ{ طُوبَى } هُوَ اسْمٌ لِلْجَنَّةِ، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِيهَا؛ فَيَكُونُ الْمُرَادُ الدُّعَاءَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ { طُوبَى } أَشْهَرُ شَجَرِهَا وَأَطْيَبُهُ. { أَشْعَثَ رَأْسُهُ }، أَيْ:

مُتَفَرِّقِ الشَّعْرِ، غَيْرِ مُسَرَّحٍ، { مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ } بِالتُّرَابِ، إِنْ أُقِيمَ فِي مُتَقَدِّمِ الْجَيْشِ لِحِرَاسَتِهِ رَضِيَ وَقَامَ، وَإِنْ أُقِيمَ فِي السَّاقَةِ -وَهِيَ مُؤَخِّرَةُ الْجَيْشِ- رَضِيَ وَقَامَ، وَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ مُبْتَغِيًا الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ خَامِلُ الذِّكْرِ لَيْسَ لَهُ مَكَانَةٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يَسْعَى لِنَيْلِ وَجَاهَةٍ بَيْنَهُمْ، فَإِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ فِي أَحَدٍ لَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ بَيْنَهُمْ، وَلَكِنَّ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرٌ، وَأَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَحْفُوظٌ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنْ غُرُورِ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى.

-وَفِيهِ: تَرْكُ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَالشُّهْرَةِ، وَفَضْلُ الْخُمُولِ وَالتَّوَاضُعِ.

(10)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَهْ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(١٥٩٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–أَمَرَ الشَّرْعُ الْحَكِيمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَوَعَدَ عَلَى ذَلِكَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي أَبُو أُمَامَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:{ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ }، أَيْ: عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمُصِيبَةِ، { وَاحْتَسَبْتَ }، أَيْ: الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ؛ رَغْبَةً فِي زِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ، أَوْ بِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، { عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى }، أَيْ: عِنْدَ أَوَّلِ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تَصْدِمُ الْقَلْبَ فَجْأَةً، { لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ }، أَيْ: فَيَكُونُ الْجَزَاءُ مِنَ اللَّهِ بِأَحْسَنَ وَأَعْظَمَ مِمَّا رَغِبَ بِهِ الْعَبْدُ فِي صَبْرِهِ وَاحْتِسَابِهِ، أَلَا وَهُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ مَعَ احْتِسَابِ الْأَجْرِ، وَخُصُوصًا عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى.

–وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ عَلَى الشَّدَائِدِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.



(11) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٧٣٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:
{ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

–رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَايَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَعِنْدَمَا يَسْتَشْعِرُ الْمُسْلِمُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِالْحَمْدِ، وَيَنْطِقُ لِسَانُهُ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ هَذَا يَكُونُ سَبَبًا لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَحَدَ الْأُمُورِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَحْظَى فِيهَا بِرِضَا اللَّهِ، فَأَخْبَرَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ } وَهِيَ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْأَكْلِ كَالْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ، وَيُرْوَى { الْأُكْلَةَ } بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، أَيْ: اللُّقْمَةَ، وَهِيَ أَبْلَغُ فِي بَيَانِ اهْتِمَامِ أَدَاءِ الْحَمْدِ. { فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا }، فَيَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، { أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ } مِنَ الْمَاءِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ { فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا }، وَقَدْ وَرَدَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ بَيَانُ إِحْدَى صِيَغِ الْحَمْدِ الَّتِي كَانَ

يَقُولُهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ وَهِيَ:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا }.

–وَالرِّضَا مِنْهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْفِعْلِ الْيَسِيرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَظِيمِ فَضْلِهِ؛ فَسُبْحَانَهُ مَا أَكْرَمَهُ! أَعْطَى الْمَأْكُولَ وَأَقْدَرَ عَلَى أَكْلِهِ وَجَعَلَهُ سَائِغًا وَسَاقَهُ إِلَى عَبْدِهِ، وَأَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى حَمْدِهِ، وَأَلْهَمَهُ قَوْلَهُ وَعَلَّمَهُ النُّطْقَ بِهِ، ثُمَّ كَانَ سَبًا لِرِضَائِهِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: تَنْوِيهٌ عَظِيمٌ بِمَقَامِ الشُّكْرِ؛ حَيْثُ رُتِّبَ عَلَيْهِ هَذَا الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ أَنْوَاعِ الْجَزَاءِ، وَهُوَ رِضَا اللَّهِ.

–وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ يُنَالُ بِأَدْنَى سَبٍ؛ مِثْلُ الْحَمْدِ عِنْدَ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْأَكْلِ أَوِ الشُّرْبِ .



•خَامِسًا: أَنْوَاعُ الرِّضَا :

–الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ هِيَ:

(أ) الرِّضَا بِالطَّاعَاتِ:

–وَهَذَا النَّوْعُ وَاجِبٌ،فَالرِّضَا بِالطَّاعَةِ طَاعَةٌ. فَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَبِرٍّ لِلْوَالِدَيْنِ وَصِلَةٍ لِلْأَرْحَامِ وَإِكْرَامٍ لِلضَّيْفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ وَحِفْظِ الْأَمَانَاتِ إِلَى آخِرِ الطَّاعَاتِ يَجِبُ الرِّضَا بِهَا، فَالرِّضَا بِالطَّاعَةِ طَاعَةٌ.

(ب) الرِّضَا بِالْمَقَادِيرِ الْمُؤْلِمَةِ:

–كَالْمَصَائِبِ الَّتِي يُقَدِّرُهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَهَذَا النَّوْعُ يَدُورُ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ. فَالْوَاجِبُ: الصَّبْرُ وَهُوَ بِدَايَةُ الرِّضَا، وَالْمُسْتَحَبُّ: كَمَالُ الرِّضَا فَهُوَ مَنْدُوبٌ، فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُهُ، فَهُوَ سَكِينَةُ النَّفْسِ التَّامَّةِ، وَهَذَا عَزِيزٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا قِلَّةٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى مِنْ رَحْمَتِهِ مَا أَوْجَبَهُ عَلَى عِبَادِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَهُ.

(ج) الرِّضَا بِالْمَعْصِيَةِ:

-وَهُوَ حَرَامٌ، فَيَحْرُمُ عَلَى الْعَبْدِ الرِّضَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِبُغْضِ الْمَعْصِيَةِ، فَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَلَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا يُحِبُّ الظُّلْمَ وَلَا الظَّالِمِينَ.



•سَادِسًا: ثَمَرَاتُ الرِّضَا :

-إِنَّ لِلرِّضَا ثَمَرَاتٍ يَانِعَةً كَثِيرَةً أَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ بِالرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

فَالرِّضَا مِنْ تَمَامِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلَا تَتِمُّ الْعُبُودِيَّةُ بِدُونِ صَبْرٍ وَتَوَكُّلٍ وَرِضًا وَذُلٍّ وَخُضُوعٍ وَافْتِقَارٍ لِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:{ إِنَّ اللَّهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ }.(الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ بِرَقْمِ:٢٠٩). ، وَأَوْرَدَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ:١/١٩٥: قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:{ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ }، وَنَقَلَ قَوْلَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ }.

(2)رِضَا اللَّهِ عَنْ عَبْدِهِ، فَمَنْ رَضِيَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَهَذِهِ زِيَادَةُ سَعَادَةٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَرْضَى عَمَّنْ يَعْبُدُهُ وَيُقْبِلُ عَلَى عَبْدِهِ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَيُحِيطُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ مَعِيَّةِ النُّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْحِفْظِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦٥٠٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ }.

،وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٢٥١٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:

{ يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ

قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ }.

(3)الرِّضَا يُخَلِّصُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ وَشَتَاتِ الْقَلْبِ وَسُوءِ الْحَالِ ، فَالرِّضَا يُؤَدِّي إِلَى طُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ، بِعَكْسِ السُّخْطِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى اضْطِرَابِ الْقَلْبِ وَانْزِعَاجِهِ وَعَدَمِ قَرَارِهِ.

(4)الرِّضَا يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ آفَةِ مُخَاصَمَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا فِي الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَالْأَقْضِيَةِ ، فَهَذَا إِبْلِيسُ اللَّعِينُ أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ تَحِيَّةً وَتَكْرِيمًا لِآدَمَ وَعِبَادَةً لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ، فَتَنْفِيذُ أَمْرِ اللَّهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ، فَلِمَاذَا عَصَى الْأَمْرَ؟ الْجَوَابُ: عَدَمُ الرِّضَا الَّذِي أَثْمَرَ الْكِبْرَ وَالْغُرُورَ وَالتَّمَرُّدَ، فَطُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَأُبْعِدَ، وَهَذَا مَا وَقَعَ فِيهِ مُنَافِقُو زَمَانِنَا فَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ حِجَابَ الْمَرْأَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا إِلَى مُسَاوَاةِ الْمَرْأَةِ بِالرَّجُلِ فِي الْمِيرَاثِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَحَلَّ الرِّبَا الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَأْبَهُوا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }.(الْأَحْزَابُ:٣٦).

، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }.(النِّسَاءُ:٦٥).

، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }.(الْمَائِدَةُ:٥٠) .

–فَالرِّضَا يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ الْمُخَاصَمَةِ مَعَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيَجْعَلُهُ فِي سَلَامٍ وَصُلْحٍ مَعَ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا.

(5)الرِّضَا يُشْعِرُ الْعَبْدَ بِعَدْلِ الرَّبِّ، فَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي الْمُسْنَدِ بِرَقْمِ(٣٧١٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا } قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا.{

-فَمَقَادِيرُ اللَّهِ عَدْلٌ، وَالَّذِي لَا يَرْضَى بِعَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ جَائِرٌ ظَالِمٌ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ حَتَّى فِي الْعُقُوبَاتِ، فَلَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ لَا فِي قَضَائِهِ وَلَا فِي عُقُوبَاتِهِ.

-فَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُ الْعَبْدَ بَيْنَ (عَسَى) وَ(عَسَى)، قَالَ تَعَالَى:{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.(الْبَقَرَةُ:٢١٦) .

-فَعِنْدَ الْعَطَاءِ يَشْكُرُ، وَعِنْدَ الْمَنْعِ يَصْبِرُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ عَدْلَ رَبِّهِ وَأَنَّهُ يُقَدِّرُ بِحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ وَعِلْمٍ، فَلَا يَفْرَحُ عِنْدَ الْعَطَاءِ فَرَحًا يُطْغِيهِ، وَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَتَأَلَّمُ عِنْدَ الْمَنْعِ أَلَمًا يُشْقِيهِ، فَالرِّضَا يَمْنَعُ عَنْهُ هَذَا الْأَلَمَ فَيَجْعَلُهُ لَا يَأْسَى عَلَى مَا فَاتَهُ وَلَا يَفْرَحُ بِمَا أُوتِيَ، قَالَ تَعَالَى:{ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }.(الْحَدِيدُ:٢٣).

(6)الرِّضَا يَفْتَحُ بَابَ السَّلَامَةِ مِنَ الْغِشِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ الْخَلْقِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالَّذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَائِلُ:{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }.(الزُّخْرُفُ:٣٢) .
-وَهَذَا يَجْعَلُ الْعَبْدَ الَّذِي تَحَلَّى بِالرِّضَا مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ جَلَّ وَعَلَا، شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَنَّهُ يُجَنِّبُ الْعَبْدَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ الرِّضَا وَالْيَقِينَ أَخَوَانِ مُصْطَحِبَانِ، كَمَا أَنَّ السُّخْطَ وَالشَّكَّ تَوْأَمَانِ مُتَلَاصِقَانِ!!

(7)الرِّضَا يَجْعَلُ صَاحِبَهُ لَا يَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ } .

الرِّضَا يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ سَخَطِ النَّاسِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ } .

-بَلِ الرِّضَا يُثْمِرُ الْعَطَاءَ، فَيُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى الرَّاضِيَ أَشْيَاءَ لَمْ يَسْأَلْهَا.



•سَابِعًا: إِيَّاكَ وَالتَّبَاهِيَ وَالتَّفَاخُرَ :

-التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرُ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، فَهُمَا دَلِيلُ الْكِبْرِ وَالْغُرُورِ، لِذَا دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى التَّوَاضُعِ وَنَهَى عَنِ الْكِبْرِ وَالتَّفَاخُرِ، فَإِنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ خَلَقَ النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، قَالَ تَعَالَى:{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }.(الزُّخْرُفُ:٣٢) .

-لَكِنَّ هَذَا الِاخْتِلَافَ لَا يَعْنِي أَفْضَلِيَّةَ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، فَلَيْسَ الْغَنِيُّ بِأَفْضَلَ مِنَ الْفَقِيرِ، وَلَا ذُو الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ بِأَفْضَلَ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ }.(النَّجْمُ:٣٢).

فَقَوْلُهُ:{ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ } أَيْ: لَا تُبَرِّئُوهَا عَنِ الْآثَامِ وَلَا تَمْدَحُوهَا بِحُسْنِ أَعْمَالِهَا.

-وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ }.(رَوَاهُ مُسْلِمٌ:٢٨٦٥).

-وَلَوْ دَقَّقْتَ النَّظَرَ لَوَجَدْتَ غَالِبَ مَا يَفْخَرُ بِهِ النَّاسُ لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِمْ، كَالنَّسَبِ وَالْغِنَى وَالصِّحَّةِ وَالْوَظِيفَةِ إِلَخْ.

-فَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ وَجَعَلَ مِعْيَارَ التَّفَاضُلِ التَّقْوَى، فَقَالَ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }.(الْحُجُرَاتُ:١٣).

-إِلَّا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَجْعَلُ مِنْ نَسَبِهِ أَوْ وَضْعِهِ الِاجْتِمَاعِيِّ أَوِ الْمَادِّيِّ مَصْدَرًا لِلْفَخْرِ وَالْمُبَاهَاةِ، وَقَدْ نَهَى دِينُنَا الْحَنِيفُ عَنِ التَّفَاخُرِ وَالتَّعَالِي عَلَى النَّاسِ بِسَبَبِ النَّسَبِ، وَجَعَلَهُ مِنْ بَقَايَا الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ. وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ }.(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: ٩٣٤ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-وَأَعْلَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَرِيحَةً أَنَّ الْأَنْسَابَ لَا تُغْنِي عَنِ الْعَبْدِ شَيْئًا مَا لَمْ يَكُنْ ذَا عَمَلٍ يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ فَقَالَ:{ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ }.(أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ:٣٦٤٣ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلنَّسَبِ مَكَانَةً بَيْنَ النَّاسِ، لِذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الْإِسْلَامُ بِإِلْغَائِهِ نِهَائِيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ }.(التِّرْمِذِيُّ:١٩٧٩ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-وَإِنَّمَا دَعَا إِلَى تَهْذِيبِهِ وَعَدَمِ التَّفَاخُرِ وَالتَّعَالِي عَلَى النَّاسِ بِسَبَبِهِ. وَمَا جَعَلَ اللَّهُ النَّاسَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ إِلَّا لِأَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِتَمَيُّزِ الْقَبِيلَةِ وَالْجِنْسِ كَالتَّمَيُّزِ بِالِاسْمِ لَا لِأَجْلِ التَّفَاخُرِ. أَمَّا حِينَمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْفَخْرِ الْمَذْمُومِ وَالتَّعَالِي عَلَى النَّاسِ فَقَدْ حَذَّرَ مِنْهُ الشَّرْعُ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:{ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ. إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ }.(التِّرْمِذِيُّ:٣٩٥٥ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-فَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ } أَيْ: كِبْرَهَا وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ.

-كَمَا نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ التَّفَاخُرِ وَالْمُبَاهَاةِ بِالْمَالِ، وَبَيَّنَ أَنَّ مِلْكِيَّتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ تَعَالَى:{ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.(الْبَقَرَةُ:٢٨٤) .

-وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَخْلَفٌ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَحَهُ مِنْ رِزْقِهِ، قَالَ تَعَالَى:{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }.(الْحَدِيدُ:٧).، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(الْأَنْعَامُ:١٦٥) .

-يَقُولُ ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:{ لِيَخْتَبِرَكُمْ فِي الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، أَيْ امْتَحَنَكُمْ لِيَخْتَبِرَ الْغَنِيَّ فِي غِنَاهُ وَيَسْأَلَهُ عَنْ شُكْرِهِ، وَالْفَقِيرَ فِي فَقْرِهِ وَيَسْأَلَهُ عَنْ صَبْرِهِ } .

-وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:{ إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ }. وَفِي رِوَايَةٍ: { لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }.(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ:٢٧٤٢ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-لِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَفْخَرَ وَلَا يُبَاهِيَ الْآخَرِينَ بِمَالِهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَنْ وَهَبَ وَمَنَحَ، وَأَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ الشُّكْرَ وَصَرْفَهُ فِي وُجُوهِهِ الْمَشْرُوعَةِ؛ لِأَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْ هَذَا الْمَالِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ؛ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ؛ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ؛ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ؛ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ }.(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ:٢٤١٧ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-كَمَا نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرِ بِالْعِلْمِ ، فَالْأَصْلُ أَنَّ الْعَبْدَ كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشْيَةً لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }.(فَاطِرٌ:٢٨) .

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ أَيْ: إِنَّمَا يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلَ، كَانَتِ الْخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ }. انْتَهَى.

-لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا تَعَلَّمَ تَكَبَّرَ بِعِلْمِهِ، وَارْتَفَعَ عَلَى النَّاسِ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشَدَّ التَّحْذِيرِ مِنَ الْمُرَاءَاةِ وَالتَّكَبُّرِ بِالْعِلْمِ وَابْتِغَاءِ غَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْعِلْمِ، فَقَالَ:{ مَنْ تَعَلَّمَ

الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ }.(أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ:٣٦٦٤ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-فَالْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ طَلَبُ الْعِلْمِ لِوَجْهِ اللَّهِ؛ لِيَعْمَلَ بِهِ الْعَبْدُ وَيَتَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ. وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ زَادَهُ عِلْمُهُ تَوَاضُعًا، كَمَا كَانَ حَالُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْقَعُ ثَوْبَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُصَافِحُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَيَقُولُ:{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ ، قَالَ: فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنِ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا مِنْهَا كَذْبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ. وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ:

إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ - قَالَ ابْنُ جُدْعَانَ: قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- - قَالَ:

فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، وَيُرَحِّبُونَ بِي، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا، فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ، فَيُقَالُ لِي:

ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا }.(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ:٣٦١٥ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-).

-وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ أُخْرَى تَدْعُو بَعْضَ النَّاسِ إِلَى الْمُبَاهَاةِ وَالتَّفَاخُرِ ، كَالْمَنْصِبِ وَالْجَمَالِ، وَلَوْ تَفَكَّرَ الْعَبْدُ وَتَدَبَّرَ لَوَجَدَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ؛ فَلَا مَعْنَى لِعُجْبِ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَلَا جَمِيلٍ بِجَمَالِهِ، وَلَا ذِي مَالٍ بِمَالِهِ.



•ثَامِنًا: التَّوَاضُعُ عِلَاجُ آفَاتِ النُّفُوسِ :

-فَالتَّوَاضُعُ خُلُقٌ كَرِيمٌ فِيهِ الْعِلَاجُ الشَّافِي وَالدَّوَاءُ الْكَافِي لِكَثِيرٍ مِنْ آفَاتِ النُّفُوسِ كَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْبَغْيِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٨٦٥) مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ

:{ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ.

وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ، إِذَنْ يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً! قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ -أَوِ الْكَذِبَ- وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ. [وَفِي رِوَايَةٍ] لَمْ يُذْكَرْ:

وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ. [وَفِي رِوَايَةٍ] لَمْ يُذْكَرْ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي... وَسَاقَ الْحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ: وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا. فَقُلْتُ قَتَادَةُ: فَيَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَيِّ، مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ، يَطَؤُهَا }.

•شَرْحُ الْحَدِيثِ :

-أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُبَلِّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَى النَّاسِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا أَمَرَهُ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ؛ فَأَوْضَحَ لِأُمَّتِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَطَرِيقَ النَّارِ، وَسَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي الصَّحَابِيُّ عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-خَطَبَ فِي أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ذَاتَ يَوْمٍ:{ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا } أَيْ:

الْيَوْمَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ خُطْبَتَهُ تِلْكَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، فَيُحْمَلُ قَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى فَوْرِيَّةِ الْإِعْلَامِ بِمَعْلُومَاتِ الْيَوْمِ، وَأَنَّ غَيْرَهَا كَانَ عَلَى التَّرَاخِي، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي كَانَ يَخُصُّ بِهَا مِمَّا لَا تُطِيقُهُ أَفْهَامُهُمْ.

-وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ:{ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ }، وَالنِّحْلَةُ: الْعَطَاءُ بِدُونِ مُقَابِلٍ، وَالْمَعْنَى: كُلُّ مَالٍ أَعْطَيْتُهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِطَرِيقٍ مَشْرُوعٍ فَهُوَ لَهُ حَلَالٌ، وَالْمُرَادُ إِنْكَارُ مَا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، مِثْلَ بَعْضِ الْبَهَائِمِ، كَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْبَحِيرَةِ وَالْحَامِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنَّهَا لَمْ تَصِرْ حَرَامًا بِتَحْرِيمِهِمْ، وَكُلُّ مَالٍ مَلَكَهُ الْعَبْدُ بِطَرِيقٍ مَشْرُوعٍ فَهُوَ حَلَالٌ لَهُ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ فِي أَيِّ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمَشْرُوعَةِ.

-{ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ } جَمْعُ حَنِيفٍ، وَهُوَ الْمَائِلُ عَنِ الْبَاطِلِ الْمُنْقَطِعُ لِلْحَقِّ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ مُسْلِمِينَ، وَقِيلَ:

طَاهِرِينَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: مُسْتَقِيمِينَ مُنِيبِينَ لِقَبُولِ الْهِدَايَةِ.

-{ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ }، أَيْ: صَرَفَتْهُمْ وَذَهَبَتْ بِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى الْأَبَاطِيلِ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، أَيْ: دُونَ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ.

-{ وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ }، أَيْ: أَبْغَضَهُمْ أَشَدَّ الْبُغْضِ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَقْتِ وَالنَّظَرِ مَا قَبْلَ بَعْثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلِذَلِكَ قَالَ:{ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } وَهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَزَالُوا مُتَمَسِّكِينَ بِالْحَقِّ وَلَمْ يُبَدِّلُوا دِينَهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ } يَا مُحَمَّدُ{ لِأَبْتَلِيَكَ }، أَيْ: لِأَمْتَحِنَكَ وَأَخْتَبِرَكَ بِمَا يَظْهَرُ مِنْكَ مِنْ قِيَامِكَ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ؛ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْجِهَادِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، { وَأَبْتَلِي بِكَ } مَنْ أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ إِيمَانَهُ وَيُخْلِصُ فِي طَاعَاتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَخَلَّفُ وَيُعْلِنُ الْعَدَاوَةَ وَالْكُفْرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَافِقُ.

-{ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا } وَهُوَ الْقُرْآنُ { لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ } أَيْ: لَا يَمْحُوهُ وَلَا يَذْهَبُ بِهِ، بَلْ يَبْقَى عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ؛ لِكَوْنِهِ مَحْفُوظًا فِي الصُّدُورِ، فَخَفَّ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَوَعَتْهُ الْقُلُوبُ، فَلَوْ غُسِلَتِ الْمَصَاحِفُ لَمَا انْغَسَلَ مِنَ الصُّدُورِ، وَلَمَا ذَهَبَ مِنَ الْوُجُودِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }.(الْحِجْرُ:٩) .

وَقَوْلُهُ:{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }.(الْقَمَرُ:١٧) .

-{ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ }، وَمَعْنَاهُ: يَكُونُ مَحْفُوظًا لَكَ فِي حَالَتَيِ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، فَلَا تَغْفُلُ عَنْهُ، وَقِيلَ: تَقْرَؤُهُ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ.

-ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا } وَالْأَمْرُ بِالتَّحْرِيقِ أَمْرٌ بِالْقَسْوَةِ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْهُمْ وَلَوْ بِإِبَادَتِهِمْ وَإِبَادَةِ مُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَمَرَنِي أَنْ أُغِيظَهُمْ بِمَا أُسْمِعُهُمْ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ بِتَعْيِيبِ آلِهَتِهِمْ، وَتَسْفِيهِ عُقُولِ آبَائِهِمْ، وَقِتَالِهِمْ وَمُغَالَبَتِهِمْ حَتَّى كَأَنِّي أُحَرِّقُ قُلُوبَهُمْ بِالنَّارِ.

-{ فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَنْ يَثْلَغُوا رَأْسِي }، أَيْ: يَشْدَخُوهُ وَيَشُجُّوهُ، فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، أَيْ: فَيَتْرُكُوهُ مِثْلَ الْخُبْزَةِ الَّتِي تُشْدَخُ وَتُكْسَرُ، قَالَ:{ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ }، أَيْ: أَخْرِجْهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا أَخْرَجُوكَ، { وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ }، أَيْ: نُعِينُكَ عَلَى غَزْوِهِمْ وَنَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ، { وَأَنْفِقْ } وَاصْرِفْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ، { فَسَنُنْفِقْ عَلَيْكَ } وَنُخْلِفْ لَكَ بَدَلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، { وَابْعَثْ جَيْشًا } لِجِهَادِهِمْ { نَبْعَثْ خَمْسَةً } مِثْلَهُ مِنْ جُيُوشِ الْمَلَائِكَةِ وَنَحْوِهِ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا فَعَلَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: سَبْعَةَ عَشَرَ، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، { وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ } مِمَّنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ { مَنْ عَصَاكَ } فَكَفَرَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ.

-ثُمَّ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ } أَيْ: إِنَّ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ إِحْدَى تِلْكَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ:

-فَالْأَوَّلُ: ذُو سُلْطَانٍ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، مُقْسِطٌ فِي رَعِيَّتِهِ، فَيُقِيمُ فِيهَا الْعَدْلَ وَالْحَقَّ، مُتَصَدِّقٌ، أَيْ: يَبْذُلُ فِيهِمُ الْمَالَ وَالْعَطَاءَ، وَلَا يَكْتَنِزُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا، { مُوَفَّقٌ } قَدْ هُيِّئَتْ لَهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَفُتِحَ لَهُ أَبْوَابُ الْبِرِّ.

-وَالثَّانِي: رَجُلٌ رَحِيمٌ، أَيْ: كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ رَقِيقُ الْقَلْبِ لَيِّنٌ عِنْدَ التَّذَكُّرِ وَالْمَوْعِظَةِ، فَهُوَ ذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ لِأَقَارِبِهِ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَبْذُلُ فِي جَمِيعِهِمُ الْخَيْرَ وَالْعَطَاءَ وَقَضَاءَ الْحَوَائِجِ بِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ.

-وَالثَّالِثُ: عَفِيفٌ، أَيْ: مُتَّصِفٌ بِالْعِفَّةِ، مُجْتَنِبٌ عَمَّا لَا يَحِلُّ، مُتَعَفِّفٌ عَنِ السُّؤَالِ، مُتَوَكِّلٌ عَلَى الْمَلِكِ الْمُتَعَالِ فِي أَمْرِهِ، وَالْعَفِيفُ مَنْ كَانَتِ الْعِفَّةُ سَجِيَّةً وَطَبِيعَةً لَهُ، وَالْمُتَعَفِّفُ مَنْ يُكَلِّفُ نَفْسَهُ بِالْعِفَّةِ وَيَكْتَسِبُهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَهُوَ ذُو عِيَالٍ، أَيْ: لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّا يَحْتَاجُونَ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ حَاجَةُ الْعِيَالِ وَلَا خَوْفُ رِزْقِهِمْ عَلَى تَرْكِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، بَلْ يَبْذُلُ نَفْسَهُ فِي كَسْبِ قُوتِ يَوْمِهِ.

-ثُمَّ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ }، أَيْ: إِنَّ تِلْكَ الْخِصَالَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ:

-الْأَوَّلُ: { الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ }، أَيْ: لَا رَأْيَ وَلَا عَقْلَ كَامِلًا يَعْقِلُهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ ارْتِكَابِ مَا لَا يَنْبَغِي، وَسُمِّيَ الْعَقْلُ (زَبْرًا)؛ لِأَنَّ الزَّبْرَ فِي أَصْلِهِ الْمَنْعُ وَالزَّجْرُ، وَلَمَّا كَانَ الْعَقْلُ هُوَ الْمَانِعَ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالزَّاجِرَ عَنْهَا سُمِّيَ بِذَلِكَ .

{ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعٌ } يَعْنِي بِهِ الْخَدَّامَ الَّذِينَ يَكْتَفُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَالْمُحَرَّمَاتُ الَّتِي سَهُلَ عَلَيْهِمْ أَخْذُهَا عَمَّا أُبِيحَ لَهُمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ دَاعِيَةٌ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ يَدُورُونَ حَوْلَ الْأُمَرَاءِ وَيَخْدُمُونَهُمْ، وَلَا يُبَالُونَ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ؛ أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ لَا يَبْغُونَ أَهْلًا، أَيْ: فَلَا يَطْلُبُونَ زَوْجَةً وَلَا سُرِّيَّةً يَتَعَفَّفُونَ بِهِنَّ عَنِ الْفَاحِشَةِ، فَأَعْرَضُوا عَنِ الْحَلَالِ وَارْتَكَبُوا الْحَرَامَ، { وَلَا مَالًا }، أَيْ:

وَلَا يَطْلُبُونَ مَالًا حَلَالًا مِنْ طَرِيقِ الْكَدِّ وَالْكَسْبِ الطَّيِّبِ، وَفِي الْجُمْلَةِ فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ضُعَفَاءُ الْعُقُولِ، فَلَا يَسْعَوْنَ فِي تَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا فَضِيلَةٍ نَفْسِيَّةٍ وَلَا دِينِيَّةٍ، بَلْ يُهْمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِهْمَالَ الْأَنْعَامِ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلَالِ أَوِ الْحَرَامِ، بَلْ هُمْ تَبَعٌ لِقَادَتِهِمْ يَسِيرُونَ مَعَهُمْ حَيْثُ سَارُوا، وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا النَّارَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ، وَاتَّبَعُوا هَوَاهُمْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

-وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِمُسْلِمٍ: أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ دِعَامَةَ -أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ- قَالَ لِشَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: { أَفَيَكُونُ ذَلِكَ؟!} وَالْمَعْنَى: وَهَلْ سَيُوجَدُ هَؤُلَاءِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! وَهَذَا سُؤَالُ تَعَجُّبٍ لَا إِنْكَارٍ؛ حَيْثُ عَجِبَ لِأَخْلَاقِ هَؤُلَاءِ وَمَا

يَرْضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ مُطَرِّفٌ:{ نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ } أَيْ: أَنَّهُ وَجَدَ مِثْلَ أَوْصَافِ هَؤُلَاءِ فِي أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ –وَهِيَ فَتْرَةُ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ– وَأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَرْعَى عَلَى الْقَوْمِ الْغَنَمَ { مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ } أَيْ:

أَمَتُهُمْ، يَزْنِي بِهَا، فَكَانَ لَا يَقْصِدُ بِرَعْيِهِ الْغَنَمَ الْأُجْرَةَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا لِأَجْلِ الْفَاحِشَةِ، فَبِذَلِكَ يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا رَاعِيًا لِلْغَنَمِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

–وَالثَّانِي: الْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، أَيْ: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَطْمَعَ فِيهِ، وَإِنْ دَقَّ بِحَيْثُ لَا يَكَادُ أَنْ يُدْرَكَ إِلَّا خَانَهُ، أَيْ: إِلَّا وَهُوَ يَسْعَى فِي التَّفَحُّصِ عَنْهُ، وَالتَّطَلُّعِ عَلَيْهِ حَتَّى يَجِدَهُ فَيَخُونَهُ، وَهَذَا هُوَ الْإِغْرَاقُ فِي الْوَصْفِ بِالْخِيَانَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الَّذِي لَا يَظْهَرُ لَهُ طَمَعٌ فِي الْوَدِيعَةِ مَثَلًا عِنْدَ الْإِيدَاعِ، ثُمَّ يَخُونُ الَّذِي ائْتَمَنَهُ فِي أَمَانَتِهِ، فَيَأْخُذُ مِنْهَا شَيْئًا لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَإِنْ دَقَّ وَقَلَّ ذَلِكَ الَّذِي أَخَذَهُ.

–وَالثَّالِثُ:رَجُلٌ لَا يَمُرُّ عَلَيْهِ زَمَنٌ مِنَ الْأَزْمَانِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ خِدَاعَكَ فِي أَهْلِكَ وَزَوْجَتِكَ بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ، وَفِي مَالِكَ يَأْخُذُهُ ظُلْمًا وَسَرِقَةً أَوْ غَصْبًا أَوْ نَهْبًا.

–الرَّابِعُ: الْبُخْلُ أَوِ الْكَذِبُ –بِالشَّكِّ مِنَ الرَّاوِي أَيَّ الْكَلِمَتَيْنِ ذَكَرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْبَخِيلُ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقٍ مَالِيَّةٍ، سَوَاءٌ الدِّينِيَّةُ كَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ وَنَحْوِهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهَا، أَوِ الدُّنْيَوِيَّةُ كَالنَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ، فَهُوَ مِنْ أَرْذَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَقْبَحِهَا، وَأَمَّا الْكَذِبُ فَهُوَ تَعَمُّدُ الْإِخْبَارِ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَقَدْ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي قَوْلِهِ:

{ وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا }.

–وَالْخَامِسُ: { الشِّنْظِيرُ }: السَّيِّئُ الْخُلُقِ، الْفَاحِشُ، أَيْ: الْمُكْثِرُ لِلْفُحْشِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ مَعَ سُوءِ خُلُقِهِ فَحَّاشٌ فِي كَلَامِهِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلَازُمِ الْغَالِبِيِّ.

–وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ فِي خُطْبَتِهِ تِلْكَ:{ وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا } وَالتَّوَاضُعُ: هُوَ رِضَا الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةٍ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهَا مُحْتَسِبًا الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ جَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ:

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ }، وَمِنْ دَوَاعِي التَّوَاضُعِ أَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْفَخْرِ وَالْكِبْرِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لَا فِي نَسَبٍ وَلَا مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ خُلُقَ التَّوَاضُعِ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ أَنْ يَظْلِمَ غَيْرَهُ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ .

–وَفِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ .

-وَفِيهِ: فَضْلُ الْوَالِي الْعَادِلِ الْقَائِمِ بِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

-وَفِيهِ: ثَوَابُ الْوَاصِلِ وَالرَّحِيمِ بِالْمُسْلِمِينَ .

-وَفِيهِ: فَضْلُ الْمُحْتَاجِ الْمُتَعَفِّفِ .

-وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْبُخْلِ وَفُحْشِ الْقَوْلِ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي تَعْلِيمِ أُمَّتِهِ مَا لَا يَعْلَمُونَهُ، مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ مَا يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ حَلَالٌ لَا يَحْرُمُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَلَيْسَ بِأَهْوَاءِ الْبَشَرِ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ مِنْ انْحِرَافِهِمْ عَنِ الدِّينِ، حَتَّى غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَمْ يَنْقَطِعُوا مِنَ الْأَرْضِ خِلَالَ الْفَتَرَاتِ مَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنْ قَلُّوا .

-وَفِيهِ: أَنَّ بَعْثَةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابْتِلَاءٌ لَهُ: هَلْ يَقُومُ بِالتَّبْلِيغِ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ؟ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ تَيْسِيرِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ، وَتَسْهِيلِهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَلَى أُمَّتِهِ .

-وَفِيهِ: بَيَانُ مَنْزِلَةِ التَّوَاضُعِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّهُ عِلَاجٌ لِكَثِيرٍ مِنْ آفَاتِ النُّفُوسِ كَالْكِبْرِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ.



•وَإِذَا جَعَلَ الْإِنْسَانُ التَّوَاضُعَ شِعَارًا لَهُ كَانَ مِنْ ذَوِي الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ وَالشِّيَمِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، لِذَلِكَ نَجِدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعِدُ الْمُتَوَاضِعِينَ الَّذِينَ لَا يَقُومُ فِي نُفُوسِهِمْ خَاطِرُ الِاسْتِعْلَاءِ وَالْمُبَاهَاةِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }.(الْقَصَصُ:٨٣).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قَارُونَ وَمَا أُوتِيَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَالُوا: { ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا } رَغَّبَ تَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَخْبَرَ بِالسَّبَبِ الْمُوصِّلِ إِلَيْهَا فَقَالَ:

{ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ } الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كُتُبِهِ وَأَخْبَرَتْ بِهَا رُسُلُهُ، الَّتِي قَدْ جَمَعَتْ كُلَّ نَعِيمٍ، وَانْدَفَعَ عَنْهَا كُلُّ مُكَدِّرٍ وَمُنَغِّصٍ، { نَجْعَلُهَا } دَارًا وَقَرَارًا { لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا } أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ إِرَادَةٌ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ لِلْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَالتَّكَبُّرُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْحَقِّ { وَلَا فَسَادًا } وَهَذَا شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمَعَاصِي، فَإِذَا كَانُوا لَا إِرَادَةَ لَهُمْ فِي الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ وَالْإِفْسَادِ، لَزِمَ مِنْ

ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ إِرَادَتُهُمْ مَصْرُوفَةً إِلَى اللهِ، وَقَصْدُهُمُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَحَالُهُمُ التَّوَاضُعُ لِعِبَادِ اللهِ، وَالِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَلِهَذَا قَالَ:

{ وَالْعَاقِبَةُ } أَيْ حَالَةُ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، الَّتِي تَسْتَقِرُّ وَتَسْتَمِرُّ، لِمَنِ اتَّقَى اللهَ تَعَالَى، وَغَيْرُهُمْ –وَإِنْ حَصَلَ لَهَا بَعْضُ الظُّهُورِ وَالرَّاحَةِ– فَإِنَّهُ لَا يَطُولُ وَقْتُهُ، وَيَزُولُ عَنْ قَرِيبٍ. وَعُلِمَ مِنْ هَذَا الْحَصْرِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ، أَوِ الْفَسَادَ، لَيْسَ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ نَصِيبٌ، وَلَا لَهُمْ مِنْهَا نَصِيبٌ }.

–وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَالِ أَكْفَاءُ
أَبُــوهُمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَــــــــــــوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَـــــاكِلَةٌ
وَأَعْظُمٍ خُلِقَتْ فِيهَا وَأَعْضَـــاءُ
وَإِنَّمَا أُمَّهَـــــــاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ
مُسْتَودِعَاتٌ وَلِلْأَحْسَـــابِ آبَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ
يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَـــــاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْـعِلْمِ إِنَّهُمُ
عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَـــانَ يُحْسِنُهُ
وَلِلرِّجَالِ عَلَى الْأَفْعَـــالِ أَسْمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَاأأَا كَانَ يَجْهَلُهُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْـــدَاءُ
وَإِن أَتَيْتَ بِجُودٍ مِنْ ذَوِي نَسَبٍ
فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَعَلْــــــيَاءُ
فَفُـــزْ بِعِلْمٍ وَلا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاً
فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْـلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ.

•فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الرِّضَا وَالْإِخْلَاصَ وَالصِّدْقَ وَالتَّوَاضُعَ، وَجَنِّبْنَا مَسَاوِئَ الْأَخْلَاقِ، وَفَرِّجْ كَرْبَ أُمَّتِنَا، وَاجْعَلْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ أَمْنًا أَمَانًا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ :

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَدَ سَيِّد عَبْدُ الْعَاطِي بْنُ مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ .

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني



للشيخ أكثر من ١٠٠ كتابًا في الموسوعة بعضها نشر وبعضها ينشر تباعًا بأذن الله

..منها علي سبيل المثال لا الحصر











